الثقافات المحلية بمنطقة درج بين المحافظة والحداثة

ملخص

مقدمة:

الثقافة مفهوم واسع يتضمن جميع مظاهر وأساليب الحياة التي تسود المجتمع بجوانبها الفكرية والمادية .

تميزت الثقافات المحلية الليبية بتنوع عناصرها غير المادية(المعنوية) والمادية بوجه عام، وانعكس هذا التنوع على النطاق المكاني للبحث الحالي بوجه خاص ، ومن خلال الاطلاع على الأدب الثقافي والأنشطة الثقافية التي اشتهرت بها منطقة درج .

تنوعت بألوان شتى من العناصر الثقافية المادية وغير المادية من الحكايات والأساطير والعادات والتقاليد، والأنماط المختلفة من التراث الذي لا ينضب عطائه .

كان لمهرجان درج السياحي العالمي دور بإبراز هذه الثقافات في الدورات (13) ، حيث أظهرت العادات والتقاليد السائدة ، وكذلك الصناعات التقليدية والفنون التي عكست عراقة المنطقة واصالتها.

أشارت بعض الدراسات في النطاق المكاني للبحث الحالي – رغم قلتها– ومنها دراسة بعنوان (الصناعات التقليدية بمنطقة درج توظيفها كمشروعات صغيرة)، قدمها كل من أ.د عيسى حسن عمر غلام ، أ.عدنان عون الله محمد شكرو، في ورشة العمل، التي أشرفت على فعالياتها كل من المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الاسيسكو)، واللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم في مدينة طرابلس في عام 2010م ، هدفت إلى: التعريف بالصناعات التقليدية بمنطقة درج ، وتقديم مقترحات وآليات الصناعات التقليدية بدرج كمشروعات صغيرة .

انتهت الدراسة إلى عدة نتائج وقدمت مقترحات لتوظيف الصناعات التقليدية بمنطقة درج كمشروعات صغيرة في مجالات الانتاج والتسويق على أن تساهم في:

– نقل خبرات ومهارات الصناعات التقليدية للأجيال الحالية والقادمة.

– إجراء تدريبات للجيل الحالي حول كيفية البناء وممارسة الصناعات التقليدية التي كانت سائدة بالمدين لضمان استمرارها.

ولابد من أن أشير إلى بعض الأدبية ومنها ما قدمه القاص والراوي إبراهيم عبد الجليل الإمام من مواليد مدينة غدامس(1970) ، الذي قام بنشر أكثر من (25) رواية ومجموعات قصصية ، مثل قصة (سلطان يوم الماء، لها طلع نضيد، وتحرير غسوف)، ومجموعة أخرى تحث الإعداد، مثل (قصوف عن كتاب الطقوس)، ومن الملاحظ أن الكثير من هذه القصص القصيرة موجه للأطفال واليافعين، وتمثل جانب مهم من هذا الأدب الذي يخدم البحث الحالي ويشكل قاعدة للنشره في هذا النطاق بحكم التداخل في العناصر الثقافية بين منطفتي درج وغدامس.

مشكلة البحث وتساؤلاته: وتحددت مشكلة البحث في التساؤلات التالية:

1-ما واقع الثقافات المحلية بمنطقة درج؟

2- ما سبل المحافظة على التراث الثقافي بمنطقة درج؟

3- ماهي إجراءات مواجهة الثقافات المحلية بمنطقة درج للتحديات الحالية؟

أهداف البحث وأهميته:

يهدف البحث للتعرف على:

1-واقع الثقافات المحلية بمنطقة درج.

2- سبل المحافظة على التراث الثقافي بمنطقة درج.

3- إجراءات مواجهة الثقافات المحلية بمنطقة درج للتحديات الحالية.

تكمن أهمية البحث في النقاط التالية:

1- تشخيص الواقع الحالي للثقافات المحلية بمنطقة درج.

2- المحافظة على التراث الثقافي لمنطقة درج .

3-المساهمة بالأفكار الجديدة والمبادرات في مواجهة التحديات التي تواجه منطقة درج.

الإطار النظري للبحث:

مكونات الثقافات المحلية بمدينة درج :

إعتمد الباحث على تصنيف رالف لينتون R.Linton الذي يتلخص في:

1- العموميات Universals: وهي مكونات ثقافية يشترك فيها غالبية أفراد المجتمع سكان مدينة درج ، وهي أساس الثقافة حيث تشمل اللغة والملابس والمأكل وأساليب التحية والتقاليد

والعادات والمعتقدات وأنماط السلوك ، والاحتفال بالأعياد والمناسبات، كما تشمل الشعائر الدينية والقيم والاتجاهات الموجهة لسلوكهم.

2- الخصوصيات Specialties: وهي مكونات ثقافية تشترك فيها مجموعة معينة من أفراد المجتمع، وهي" المهارات الفنية والوان المعرفة التي تتطلبها المهن المختلفة وتسمى الخصوصيات المهنية .

3- البدائل Alternatives: وهي مكونات ثقافية لا تنتمي إلى ما سبق ، ولا يشترك فيها إلا عدد قليل نسبياً من أفراد المجتمع ،وهي لا يقبلها في بادئ الأمر إلا عدد قليل من أفراد المجتمع ، وتبقى في فترة تجربة، فإذا ما لاقت قبولاً عاماً أصبحت من العموميات ، وإذا ما اقتصرت على فئة معينة تصبح من الخصوصيات ، مثل اتباع طريقة جديدة في صناعة من الصناعات ، كالصناعات التقليدية السائدة في منطقة درج .

عناصر التراث الثقافي بمدينة درج:

عناصر غير مادية(المعنوية):

اللغة ، حيث يتحدث غالبية سكان منطقة درج اللغة العربية، وقد أشرت إلى أن فئة الطوارق يتحدثون إلى جانب اللغة العربية اللهجة الطارقية .

الدين، حيث يسود الذهب المالكي، وأهم ما يتميز به التراث الديني ، انتشار المساجد القديمة في مدينة درج وف المراكز العمرانية المحيطة في كل من تقطة وماترس وتفلفلت، إلى جانب انتشار الأضرحة الصوفية، وزوايا تحفيظ القرآن ودراسة الأحكام.

الشعر الشعبي أحد جوانب حياة سكان منطقة درج ، وكما يمثل سجلاً ترسم خلاله الصورة الواقعية والحية لهذه المدينة ، " ويستلهم الشعراء الشعبيون من البيئة المحيطة ابداعاتهم الفنية ، حيث " تغنوا في طبيعة والصحراء والعيون الجارية والنخيل والوديان، وكذلك تغنوا إلى الحب والجمال والصمود في وجه قسوة الطبيعة والغزاة الطامعين. "

الأغاني والموسيقى دور في تربية الذوق السمعي، ويمكن من مجرد الاستماع اليهما الوصول إلى معرفة البلد أو الجهة .

إذ **للأغاني** الجماهيرية مضمونا أخلاقياً ومنظومة لغوية تعكس مدى ما بلغه الأجداد من ذوق وما ابتدعوه من وسائل، فهي تعمل على ابعاد الأحزان وتسلية الخواطر وتنشيط العزائم وتغذية الروح.

وتمثل **الموسيقى** الربيع الذي ترتع فيه رياضة المهج وتسهم في تربية أخلاق الشعوب وتهذب مشاعرها .

الأمثال الشعبية: يمكن وصف المثل الشعبي بأنه " تعبير بسيط موجز يصور أمراً معيناً لمناسبة أو حدث ويتجدد ترديده على الألسن كلما تجددت تلك المناسبة أو شبهها، والمراد به العظة والاعتبار .

الألعاب الشعبية: أداة ثقافية ناجحة في تربية الشعوب والتقريب بينها ، يعول عليها المصلحون والقادة في تعميق ملكات شعوبهم وبناء أجسامهم وصقل عقولهم وتهذيب أذواقهم وتركيز القيم ودعم المثل.

الأدب: فقد اقتصر الأدب المكتوب في منطقة غدامس في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين على بعض الكتب الدينية وإعادة كتابة القرآن الكريم برواية ورش، ولعل من بين هؤلاء العلماء **محمد الخضراوي بن داود** " وهو عالم جليل ذا شهرة فائقة أكمل تعليمة بالأزهر الشريف في منتصف القرن الثالث الهجري ، وعاد ليتولى القضاء في منطقة درج وغدامس ، قد ترك مكتبة عظيمة ، له فيها مؤلفات قيمة" [18] ، وعند انهيار أجزاء من مدينة درج القديمة ، تم تحويل غالبية المؤلفات إلى مركز المحفوظات والدراسات التاريخية بمدينة طرابلس.

العادات والتقاليد لها دور في بناء شخصية الأمم ينبغي أن تهتم الجامعات بهذه المواضيع وتتناولها بالدراسات الأكاديمية ، إلى جانب إقامة المعارض وتنظيم الكرنفالات وعقد الندوات العلمية والأمسيات الشعرية والمنابر للحوار والملتقيات .

ينبغي بعث تراث الأجداد من خلال النشرات وتشجيع الرسامين كي يعصروا الماضي ليبوح بمخزونه ولدعوة القصاصين إلى استلهام مادتهم القصصية من الماضي , وبتوجيه السينما إلى مادة وسيناريوهات وإبطالاً إلى الملاحم وبتوجيه أدب الأطفال إلى بعض الجوانب المضيئة من عاداتنا وتقاليدنا وحكاياتنا.

العناصر المادية:

الصناعات التقليدية: تشمل الصناعات التقليدية بدرج :

مواد البناء كالطوب ، الجبس، والميلوس (الجير)، وتدخل في بناء المساكن ، وصناعة أفران الخبز(التنور) ، واواني الأكل.

خامات النخيل وتدخل في :

أ- الغذاء :كصناعة رب التمر والخل) .

ب- البناء : وتستخدم الجريد وجدع النخلة في أسقف وأبواب المنازل .

ج-الصناعات المنزلية : كصناعة السلال والحبال والأطباق.

د-الزراعة والري: كصناعة الخطارة (لجلب المياه من الآبار)، والحكمة (وعاء لجلب المياه من الآبار).

صناعات تعتمد على الانتاج الحيواني: ويشتهر بها طوارق درج وسكان ماترس وتشمل: -

الصناعات الصوفية : كصناعة الأثاث المنزلي والبطاطين.

- صناعة الوبر والشعر : كصناعة بيوت الشعر (الخيام).

- الصناعات الجلدية: كصناعة الأحدية والقرب والمراوح والآلات الموسيقية(الربابة).

صناعات غذائية: كصناعات الخبز.

صناعة اللوحات الفنية: ومن أبرز الفنانين الفنان والناحت محمد بشير متيطاً ، الذي استخدم جدوع النخيل في نحت مجسمات المباني والقصور القديمة ويقوم بتصميم الشعارات، وله معرض دائم ، حيث شارك بإنتاجه الفني في العديد من المهرجانات والمعارض الفنية.

إضافة إلى صناعة أدوات الزينة النسائية التي تتزين بها المرأة في مناسبات الأفراح.

مدينة درج القديمة:

هي مدينة تتربع الصحراء على مشارف الحمادة الحمراء تتداخل فيها الازقه والساحات و المساجد والزوايا القرآنية والصوفية مع البساتين والعيون والفقارات.

أجمل ما فيها قصرها الشامخ ومسرحها الجميل وغاباتها الخضراء ذات النخل الباسقات والعيون الجاريات تحيطها مسلات الهلاليين المعروفة "بقصبات دياب" وكذلك بمقابر قديمة ونقوش اثرية وأثار لقصور قديمة.

البيئة الصحراوية المحيطة بمنطقة درج:

بقدر ما يكتنف هذه البيئة من صعوبات وأخطار، فهي مكون مادي طبيعي وبيئة خصبة عاش في ربوعها الانسان .

وبقدر اتساعها فقد أعطت للإنسان فسحة إلى الأفق ، وبعداً في النظر وسعة في العقل والتفكير .

ربما يفسر ذلك نبوغ بعض سكان البدو في بعض المجالات الأدبية من هذه البيئة مثل إبراهيم الكوني الراوي والأديب العالمي المعروف.

المهرجانات كآلية للمحافظة الثقافات المحلية لمنطقة درج:

يعد مهرجان درج السياحي العالمي أهم آلية في الثقافات المحلية بمنطقة درج ، فهو أداة ناجعة وآلية ضرورية لمحاولة استعادة الماضي لتوظيفه في خدمة الحاضر واستشراف المستقبل.

أول مهرجان أقيم في العام 1985مسيحي ، نفذ في مدينة درج القديمة في شكل ملتقى لفرق الفنون الشعبية على مستوى ليبيا، اشتمل على سهرات ليلية وعروض للفرق وعلى معارض المقتنيات الشعبية والمخطوطات التاريخية ، وتم خلاله إصدار أول نشرة ثقافية لتوثيق فاعليات الملتقى والجدير بالذكر أنه توقف خلال الفترة المحصورة بين 1986-1998مسيحي لأسباب تتعلق بإعادة التنظيم والتطوير لغرض إكسابه دقة أكبر.

تبلور في شكل مهرجان عالمي للفنون والتراث فأقيم في دورة ثانية عام 1999مسيحي تحت شعار (الفن والتراث في مواجهة العولمة) ، ثم أقيم في الدورة الثالثة عام 2000مسيحي تحت شعار (الصحراء نبع الأصالة والقيم) ، تلتها الدورة الرابعة للعام 2001مسيحي تحت شعار (عطاء دائم وإبداع مستمر) الذي أصبح شعار لجميع المهرجانات التي تلته.

ويجدر بنا أن نذكر حصاداً للبرامج المنفذة خلال دورات المهرجان كالمعارض المتنوعة ومنها معارض للأزياء والهواة والفنون التشكيلية والصناعات التقليدية والمنتجات الزراعية والصور ... إلخ .

وتخصيص جانب للنجع وعروض للمهاري التي تجسد تقاليد وحياة ترحال الطوارق وهي امتداداً لتجسيد الحياة الاجتماعية لسكان المنطقة والتي تقام بساحات وبساتين مدينة درج القديمة وتقديم عروض لفرق الطرق الصوفية والألعاب الشعبية .

تراث درج الثقافي بين المحافظه عليه وتفعيله:

ترك الأجداد آثاراً وتراثاً علمياً وثقافياً قيماً ، يعد نتاجاً لقرابة القرنين الماضيين وشاهداً حياً على أصالة العلم والتعلم في هذه المنطقة .

إذ ازدهرت الحركة العلمية ، وتم إنشاء العديد من الزوايا التي لعبت دوراً كبيراً في حفظ التراث العلمي والفكري ، ولعل من بينها زاوية درج القديمة وزاوية تقطة وزاوية ماترس، ولا تزال معظم هذه الزوايا قائمة ، بل ازداد عددها لتشمل مساجد المنطقة كافة ، وانتشرت في المراكز العمرانية الأخرى (كتفلفلت).

يمكن الاشارة إلى بعض أساليب الحماية المقترحة للموروث الثقافي والحضاري ،يتضمنه التقرير الخاص بالزيارة العلمية التي قام بها المسؤولين عن مشروع تنظيم وإدارة مدينة طرابلس القديمة إلى مدينة درج عام 1999م، والتي تلخصت في العديد من النقاط أهمها:

1-إستحدات جهاز لحماية وتنظيم وإدارة مدينة درج القديمة.

2-تشكيل فريق استشاري يهتم بالشؤون التاريخية والثقافية والمعمارية للمدينة القديمة.

3-انشاء مكتبة تاريخية في احد مباني المدينة القديمة تحوي على الوثائق والمخطوطات التاريخية والكتب.

4-إحياء أسواق وشوارع المدينة القديمة وإنعاش الحياة الاقتصادية بها، وذلك بتنشيط الحرف اليدوية وإقامة محلات لتسويق المنتجات والمصنوعات التقليدية.

5-إنشاء متحف بقصر المدينة القديمة يحتوي على الموجودات الأثرية بالمدينة والمناطق الأثرية المحيطة.

6-استعمال مواد البناء المحلية في الترميم كالطين والجبس وخامات النخيل من جدوع وجريد.

7- تنفيذ أعمال الصيانة والترميم على مراحل من خلال خطط قصيرة ومتوسطة وطويلة.

إجراءات مواجهة الثقافات المحلية بمنطقة درج للتحديات الحالية:

1- التواصل مع الثقافات الأخرى ، بما يحقق التكامل بين أبناء الوطن الواحد وبمختلف بيئاتهم الجغرافية سواء الصحراوية او الجبلية أو الساحلية بأشكالها الحضرية في الريف أم في المدن .

2- توظيف الوسائل التكنولوجية المختلفة في تفعيل التراث الثقافي ، بما يخدم حاضر الثقافات ويستشرف مستقبلها المنشود.

3-ادخال الثقافات المحلية في مؤسسات التعليم على اختلاف مراحلها ومستوياتها، والعمل على اكسابها للأجيال الناشئة بكل شفافية ووضوح، " وتشكيل اتجاهات ايجابية نحوها من أجل الميل والانتماء اليها والاعتزاز بها كمشروع حضاري للتنمية.

4-تشجيع الانتاجات الإبداعية المتميزة والتي تبرز خصوصية انتماءها الوطني ،لاسيما عندما تتميز بشمولية أفكارها في نطاق أوسع من حدودها الجغرافية الضيقة، وتقدم كثقافات تخدم كامل الوطن ، ومن ثم تمتلك القدرة علة مواجهة الثقافات الوافدة والمدمرة للمجتمع.

ويمكن مواجهة الثقافات المحلية للتحديات الحالية من منظور الثقافة الاسلامية بإتخاذ الاتي:

1-تحصين النشء بالثقافة الاسلامية ، كي تشكل سداً منيعاً أمام جميع الثقافات الغازية، وحتى تكون الشخصية الاسلامية معتزة بأصالتها، ترى في الثقافات الوافدة شكلاً من أشكال الاحتلال الثقافي.

2-التأكيد على رحابة الاسلام ، وقبوله مبدأ حوار الحضارات ، وكذلك قدرته على الانفتاح والتفاعل مع الثقافات الأخرى ، وصلاحيته لإقامة جسور المودة والتعرف على الأمم والشعوب الأخرى ، مصداقاً لقوله تعالى :" وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم " . الحجرات "13".

3- التركيز على القيم الأصيلة في ثقافتنا الاسلامية ، مثل التميز، واثبات ، وإظهار أثر هذه الخصائص في رفض أي ثقافة غازية تستهدف تحطيم ثوابتنا الحضارية ، لتكون منسجمة مع الأهداف الاستعمارية.

خلاصة النتائج:

1- نشر الوعي لدى الأفراد والجماعات حول القواسم المشتركة للتراث الثقافي والتي تربط بين أبناء الوطن الليبي الواحد ، لتقوية الانتماء من جانب ، وتحقيق التنمية الوطنية من جانب آخر.

2- التواصل مع الثقافات الأخرى ، بما يحقق التكامل بين أبناء الوطن الواحد وبمختلف بيئاتهم الجغرافية سواء الصحراوية او الجبلية أو الساحلية بأشكالها الحضرية في الريف أم في المدن .

3- تخليص الثقافات المحلية من الوان الضعف والتأكيد على أنها ثقافة غنية بالقيم الانسانية.

4-ادخال الثقافات المحلية في مؤسسات التعليم على اختلاف مراحلها ومستوياتها، والعمل على اكسابها للأجيال الناشئة، تحصينهم بالثقافة الاسلامية .

5-تشجيع الانتاجات الإبداعية التي تتميز بشمولية أفكارها، وتقدم كثقافات تخدم كامل الوطن .

6-تشجيع قنوات التواصل والحوار الثقافي مع باقي الثقافات المحلية ، باعتباره الأفضل ديمقراطيا.

7-ضرورة نهوض المثقفين والأكاديميين لكشف الزيف الذي يكتنف فكرة العولمة ، واظهار النوايا الاستعمارية التنبيه إلى خطرها على الثقافة حاضراً ومستقبلاً.

التوصيات والمقترحات:

التوصيات:

في ضوء الاطار النظري للبحث وما توصل إلية البحث من نتائج يوصي الباحث بالآتي:

1-المحافظة على التراث الثقافي بعناصره المادية وغير المادية ، ونقله إلى جيل الناشئين.

2-تعزيز التراث الثقافي وتنميته تخليصه من الشوائب والعيوب المعطلة لمسيرته ونهضته.

3-الاستفادة من ثقافات المجتمعات الانسانية الأخرى في تطوير الثقافات المحلية .

المقترحات:

في ضوء وما توصل إلية البحث من نتائج وتوصيات يقترح الباحث الآتي:

1-إجراء الدراسات العلمية للثقافات المحلية في مختلف مناطق ليبيا.

2-تنظيم المؤتمرات الثقافية والندوات وورش العمل التي تتناول المجالات المختلفة للثقافات المحلية بليبيا.

3-إجراء دراسات على أدب الأطفال في ليبيا.